مصطفى الغرافي

مادة: السرد والشعر القديمين لطلبة الماستر المتخصص (الفصل الثالث)

الخميس7-1-2021

السرد الخرافي

يمثل النظر إلى السرد الخرافي، من أجل تتبع ظروف تشكله، ومعايير تلقيه، والحكم عليه، مرقاة للكشف عن طبيعة الثقافة العربية الإسلامية في أحد جوانبها المسكوت عنها والمتمثل في خصائص الذهنية العربية كما جسدتها الأعمال التخييلية، لأن "عالم العجيب والغريب ليس، في نهاية الأمر، شيئا آخر غير تصور للمخلوقات والموجودات، وإدراك للمحسوسات وتطلع للغيب، تأتي كلها مصورة تصويرا فنيا في قصص مختلفة، منها الخيالي، ومنها الميثي، ومنها الديني، تساهم جميعا بقسطها في تقديم الفكر ومظاهر تطوره، ورسم ملامح المخيال وعناصره الفاعلة"[1].

تكشف الثقافة العربية عن موقف سلبي إزاء الأجناس السردية، حيث تحشرها في زمرة الأفعال المذمومة، لكونها تمثل حيزا ملائما للتزيد والسخف، ومجانبة المنطق وقواعد العقل. ومن هذا المنطلق لم تكن الثقافة العربية تنظر بعين التقدير إلى حكايات القصاص، التي اختزلتها في كونها "تمرينا للتسلية غير جدير بالاحترام، ولم تعتبرها أبدا جزءا متمما لها"[2]. وقد أفضى هذا التصور إلى ترسيخ النظرة الثقافية، التي تربط أجناس الخطاب السردي بقصور العقل. يقول حاجي خليفة عن كتاب "خريدة العجائب وفريدة الغرائب" لابن الوردي: "أورد فيه أخبارا واهية، وأمورا مستحيلة كما هو دأب أهل العربية، والأدباء

---

[1] -وحيد السعفي، العجيب والغريب في كتب تفسير القرآن، ص: 41

[2] -جمال الدين بن الشيخ، ألف ليلة وليلة أو القول الأسير، ص: 28

الغافلين عن العلوم العقلية، ثم إن هذا الكتاب متداول بين العقول القاصرة كأمثاله"[3]. غير أن هذه النظرة، التي غلبت على خطاب النقاد القدامى، لم تمنع ازدهار هذا النمط القولي، الذي لقي اهتماما منقطع النظير على مستوى التداول كما تدل على ذلك إشارة المسعودي، الذي وصف ألف ليلة بأنه "أخبار موضوعة من خرافات مصنوعة، نظمها من تقرب للملوك بروايتها، وصال على أهل عصره بحفظها والمذاكرة بها، وإن سبيلها سبيل الكتب المنقولة إلينا والمترجمة لنا من الفارسية والهندية، وسبيل تأليفها مما ذكرنا مثل كتاب هزار أفسان. وتفسير ذلك من الفارسية إلى العربية ألف خرافة "[4].

غير أن السرد الخرافي حظي برواج كبير، في المجتمعات العربية، على صعيدي الإنتاج والتلقي، حيث أكد أحد الدارسين الغربيين المعاصرين أن العرب من الشعوب التي "تمتلك موهبة خاصة في خلق الحكاية الخرافية. إذ صاغوها في أكمل صورة فنية، كما غذوها بخيالهم وكسوها بالبهاء والروعة"[5]. وقد أشار ابن النديم في كتابه "الفهرست" إلى الرواج الكبير الذي حظي به التأليف الخرافي. يقول: "كانت الأسمار والخرافات. مرغوبا فيها مشتهاة في أيام خلفاء بنى العباس، ولاسيما في أيام المقتدر. فصنف الوراقون، وكذبوا"[6]. تبرز هذه الإشارة مدى الاهتمام الذي حظي به السرد الخرافي في الثقافة العربية. ويمكن لهذا الاهتمام أن يرجع إلى سمة الغرابة التي تمثل خصيصة تكوينية في هذا النمط القولي الذي تقوم بلاغته على مفارقة سنن الواقع وقواعد العقل. فقد أبرز ثابت بن قرة أهم خصائص السرد الخرافي بقوله: "الخرافات توجد من أربعة أشياء، وهي غرائب البحر، وحديث السحر، وحديث العشق، وحديث الجن"[7].

إن الإقبال على الخرافات نابع من رغبة غريزية في نفس الإنسان، الذي يتشوف بطبيعته إلى سماع أخبار العجائب. يقول مسكويه: "للنفس الإنسانية قوتان: إحداهما معطية

---

[3] -حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1 ص: 701

[4] - المسعودي، مروج الذهب، ج2 ص: 201

[5]- فردريش فون ديرلاين، الحكاية الخرافية، ص: 16. اتخذ ثربانتس، في روايته الشهيرة "دون كيخوته"، من العثور على مخطوط ذريعة لانبثاق السرد وتولد الحكاية. ومما يثير الانتباه أنه نسب المخطوط إلى مؤلف عربي سماه سيدي حامد بن الأيلي مبررا ذلك بمهارة العرب في الكذب- دون كيشوت، صص:95- 96.

[6] - ابن النديم، الفهرست، ص: 367

[7] -التوحيدي، المقابسات، ص: 265

والأخرى آخذة؛ فهي بالقوة الآخذة تستثيب المعارف، وتشتاق إلى تعرف الأخبار. وبها يوجد الصبيان، أول نشوئهم، محبين لسماع الخرافات"[8]. وقد استدعى ذلك وضع تصانيف عديدة، تخص هذا النمط القولي، من أجل الاستجابة لرغبة المتلقين في سماع الحكايات العجيبة والوقائع الغريبة. ولذلك اخترق النمط العجيب أصنافا من الخطاب عديدة ومتنوعة من حيث الأشكال والأنواع. وهو ما دفع أحد الباحثين المعاصرين إلى التأكيد أن "أي دراسة تعنى بالخطاب الجمالي في الثقافة العربية، ولا توسع من دائرة نظرها، حتى تطال جميع أنماط الخطاب، لا يمكن لها أن تحيط بعبقرية ثقافة ضاقت بالممنوع والمحرم، فشرعت تحلم نفسها وتقول استيهاماتها وانجذابها إلى الجميل والفاتن والعجيب والغريب، متخذة من أنماط الخطاب جميعها مواضع كرست فيها ذلك النزوع المقموع"[9]. ويعني ذلك أن النمط الخرافي لم يكن هامشيا إلا من منظور الثقافة الرسمية، التي نظرت إلى القص بوصفه "خرافة تضاد العقل والحكمة، وإلى القصاص بوصفهم النقيض المقابل النقيض للحكماء والمفكرين. وخلاصة الأمر أن القص لا يقدم معرفة ولا يكسب متلقيه منفعة أو فائدة ما، لأنه منطو على الخواء المعرفي"[10].

من أبرز أصناف السرد الخرافي "تكاذيب الأعراب"[11]، التي روى الجاحظ بعضا منها في كتابه "الحيوان"، كما أفرد لها المبرد بابا خاصا من كتابه "الكامل" سماه "من تكاذيب الأعراب". وهي نصوص سردية مخالفة لقوانين العقل وسنن الطبيعة، وتقترب في بعض نماذجها من الأسطورة والخرافة كما يظهر من هذه التكذبة: "حدثني أبو عمر الجرمي قال: سألت مقاتل الفرسان أبا عبيدة عن قول الراجز:

أَهَدَّمُوا بَيْتَكَ لا أَبا لَكَا وَأَنا أَمْشِي الدَّأَلَى حَوالَكا

---

[8] -التوحيدي، الهوامل والشوامل، ص: 15

[9] -محمد لطفي اليوسفي، فتنة المتخيل، ج1 ص: 22

[10] - ألفت كمال الروبي، الموقف من القص في تراثنا النثري، ص: 152

[11] - خصص عبد الله الغذامي الفصل الثالث من كتابه "القصيدة والنص المضاد" لـ"جماليات الكذب" درس خلاله نماذج من "تكاذيب الأعراب"- القصيدة والنص المضاد، ص: 113

فقلت: لمن هذا الشعر؟ قال: تقول العرب: هذا يقوله الضَّبُّ لِلْحِسْل أيام كانت الأشياء تتكلم"[12].

يبدو أن الأصل في تسمية هذا النمط القولي "تكاذيب" مرتد إلى طبيعة الميثاق التواصلي الذي يبرمه السارد مع متلقيه. يتعلق الأمر، إذن، بكذب متفق عليه، وهو ما يخرج هذا النمط القولي من دائرة الكذب بالمعنى المتعارف عليه، لأن "الكذب يتخذ طابعا إنجازيا، وذلك لأنه يتضمن في الوقت نفسه وعدا بقول الحقيقة وخيانة لذلك الوعد، ويرمي إلى خلق الحدث والدفع إلى الاعتقاد، في حين أنه لا يوجد أي شيء قابل للمعاينة"[13]. فقد أوضح سيرل أنه رغم التشابه الظاهري بين الكذب والتخييل، فإنه لا ينبغي الخلط بينهما، لأن الكذب والتخييل ليسا قولين متكافئين عند التحقيق؛ إذ في الوقت الذي ينوي منتج الأقوال الكاذبة مغالطة مخاطبه؛ أي إنه ينتهك شرط النزاهة، فيعمد إلى حمل المخاطب على الاعتقاد في صدق أقواله، فإن منتج الخطابات التخييلية لا ينوي مغالطة مخاطبه؛ أي إنه لا يقصد حمله على تصديق خطابه. وبذلك يتأكد أن المقاصد المتحكمة في إنجاز خطاب الكذب مختلفة تماما عن المقاصد الموجهة لإنتاج القول التخييلي[14]. ويترتب عن هذا التصور ارتباط الكذب بالاعتبار الأخلاقي، الذي يقرنه بالقصد تحديدا، لأن "الكذب مختلف تماما عن الخطأ، أو عن النقص الذي قد يعتري المعلومات أو الخبرات، وهو ما يستدعي العزم المقصود على إلحاق الأذى، والنوايا السيئة بالنظر إلى العقل الأخلاقي"[15].

يتحصل من هذا القول أن "التكاذيب" لا تدخل في دائرة الكذب المتعارف عليه، لأنها لا تصدر عن طرف واحد، ولكنها تنتج وفق ميثاق تشاركي ينخرط بموجبه طرفان في إنتاج الكذبة ويتناوبان على تلقيها كما يكشف عن ذلك هذا النص: "حدثني سُليمان بن عبد الله عن أبي العَمَيْثَل مولى العباس بن محمد قال: تكاذب أعرابيان فقال أحدهما: خرجت مرّة علي فرس لي، فإذا أنا بظُلْمَةٍ شديدة، فَيَمَّمْتُها حتى وصلتُ إليها، فإذا قطعةٌ من الليل لم تَنْتَبِه، فما زلت أحمل عليها بفرسي حتى أَنْبَهْتُها، فانجابت، فقال الآخر: لقد رميت ظبيًا مرة بسهم،

---

[12] - المبرد، الكامل، ج 2 ص: 731
[13] -جاك دريدا، تاريخ الكذب، ص: 31
[14]- آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم، ص: 37
[15] جاك دريدا، تاريخ الكذب، ص: 79

فعدل الظَّبْيُ يَمنة، فعدل السهم خلفه، فَتياسر الظبي، فتياسر السهم، ثم علا الظبيُ، فعلا السهم خلفه، ثم انحدر، فانحدر حتى أخذه"[16]. ونصادف، في كتاب "عيون الأخبار" لابن قتيبة، نماذج من هذه التكاذيب، التي كانت شائعة في محيط التداول العربي: "قال أبو حية النميري- وكان كذابا: عنّ لي ظبي، فرميته فراغ سهمي، فعارضه والله السهم. فراغ فراوغه السهم حتى قتله ببعض الخبارات. وقال أيضا: رميت ظبية، فلما نفذ السهم ذكرت بالظبية حبيبة لي، فشددت وراء السهم حتى قبضت قذذه"[17].

وقد أشار المبرد، في محاولة لتفسير ظهور هذا النمط القولي، إلى أن العرب أنشأت هذه "التكاذيب" من باب المعارضة للتراث القصصي الذي تحدر إليها من العجم: "حدثني التوّزي قال: سألت أبا عبيدة عن مثل هذه الأخبار من أخبار العرب، فقال: إن العجم تكذب أيضا، فتقول: كان رجل نصفُه من نحاس، ونصفُه من رصاص، فتعارِضُها العرب بهذا، وما أشبهه"[18].

لعل أهم ما يلفت الناظر، في هذه "التكاذيب"، أنها لا تخالف قوانين الواقع والطبيعة مخالفة تامة؛ فالأحداث لا تجري في أماكن متخيلة مفارقة للواقع (عوالم الجن والمدن السحرية)، ولكنها تجري في عوالم مرجعية معروفة للمتلقي. إنها أحداث واقعية اتسمت بالمبالغة والتزيّد. وهو ما جعلها تندرج في دائرة التعجيب. فقد ذكر لويس فاكس أن القص العجائبي "يقدم لنا بشرا مثلنا، فيما يقطنون العالم الذي نوجد فيه، إذا بهم فجأة يوضعون في حضرة المستغلق عن التفسير"[19]. ولعل هذا أن يفسر تعلق المخاطبين بهذا الصنف من الخطابات، وتفاعلهم مع الوقائع الغريبة التي تقدمها الحكايات العجيبة؛ فهي لا تقطع كليا مع نمط حياتهم، ولا تفارق واقعهم مفارقة تامة، ولكنها تقدم لهم عوالم تشبه عالمهم، وحياة تشبه حياتهم، لأن النصوص التخييلية، حتى لو كانت خرافات، لا تضع الأحداث في عالم مختلف كليا عن عالمنا، فعندما تتحدث هذه النصوص عن غابة مصنوعة من الأشجار المعدنية،

---

[16] - المبرد، الكامل ، ج2 ص: 733
[17] - ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج2 ص: 28
[18] - المبرد، الكامل، ج 2 ص: 739
[19] - تزفتان تودوروف، مدخل إلى الأدب العجائبي، ص: 49

فإن مقولتي "الشجرة" و"معدنية" ينبغي أن يكونا هما ذاتهما كذلك في عالمنا الواقعي[20]، لأنه "من المحال فهم ما يقول العمل، إن لم يكن يتحدث عن عالم مألوف لنا، يمكن أن يجد نقطة تماس بما يقوله النص"[21].

ويلحق بهذه الأصناف السردية الحكايات الموضوعة على لسان الحيوان، التي تعتبر أصولا أولى للسرد المثلي في الثقافة العربية. ويمكن التمثيل لذلك بهذه الحكاية المثلية التي أوردها ابن عربشاه: "من أشهر أمثالهم، قالوا: إن الأرنب التطقت تمرة فاختلسها الثعلب فأكلها، فانطلقا إلى الضب، فقالت الأرنب: يا أبا الحصين، قال: سميعا دعوت، قالت: أتيناك لنختصم إليك، قال: عادلا حكيما، قالت: أخرج إلينا، قال: في بيته يؤتى الحكم، قالت: إني وجدت تمرة، قال: حلوة فكليها، قالت: فاختلسها مني الثعلب، قال: لنفسه بغى الخير، قالت: فلطمته، قال: بحقك أخذت، قالت: فلطمني، قال: حر انتصر لنفسه، قالت: فاقض بيننا، قال: قد قضيت. فذهبت هذه الأقوال كلها أمثالا"[22].

واضح أن هذا النمط من السرد يخالف الواقع مخالفة تامة. إنه سرد "مخترع" يجنح إلى الغرابة والتعجيب، لكن هذه "الغرائبية محدودة بالهامش الضيق نسبيا، الذي تقيم فيه تصرفات الحيوان وعلاقاته. إذ إن الغالب على هذه الشخصيات في سلوكها وتفكيرها الطابع الإنساني بشكل بارز حتى لتبدو وكأنها ممثلة لأصناف من البشر"[23]. مما يؤكد أن الغاية، من إنشاء هذه الأوضاع السردية، تتمثل في تحقيق الإمتاع الجمالي المرتهن إلى مبدأ مفارقة الواقع وسنن الطبيعة. ذلك أن الحقيقة التي يفرزها السرد التخييلي حقيقة افتراضية أساسها الإمكان والاحتمال وليس الواقع الموضوعي. إذ ليست وظيفة السرد إنتاج الحقائق أو تأسيسها، ولكن وظيفته الحقيقية استثمار طاقة الخيال من أجل تشييد العوالم الممكنة التي تتطلع إليها الإنسانية. إذ "ليست الحقيقة في العمل القصصي دراسة للاحتمالات، بل هي

---

[20] -امبرطو إيكو، اعترافات روائي شاب، ص: 92
[21] -غادامير، الحقيقة والمنهج، ص:575
[22] -ابن عربشاه، فاكهة الخلفاء، ص: 28
[23] -سامي سويدان، في دلالية القصص وشعرية السرد، ص: 304

توظيف وكشف، في آن، لكافة الاحتمالات والآفاق الواردة، بغية إعطاء معادل لما يمكن أن يكون عليه عالمنا"[24].

لقد أثبت الميداني، في كتابه "مجمع الأمثال"، عديدا من قصص الحيوان، التي حرص على تأكيد طبيعتها الخرافية من خلال ما يورد بصددها من تعليقات؛ فقد عقب على قصة المثل "لا أحب تخديش وجه الصاحب" بالقول: "هذا مما زعمت العرب على ألسن البهائم"[25]. وقد يلفت المؤلف انتباه متلقيه إلى الطبيعة الخرافية للحكاية عن طريق الإحالة إلى ما يسميه "الزمن الأول"[26].

إذا كانت الأسطورة والخرافة والتكاذيب قد مثلت إطارا ملائما لتولد السرد العجيب، في البدايات الأولى لتشكله، فإن تجليات هذا النمط القولي اخترقت أشكالا خطابية متعددة ومتغايرة من حيث الأشكال والأنواع؛ فهو ثاو في كتب التفسير، والسيرة، والتاريخ، والمناقب، والمنامات، والرحلات، حيث يصادف الناظر في هذه الأشكال الخطابية المتنوعة مادة وفيرة تتعلق بالسرد المفارق للواقع. وهو ما يستدعي إلى الذهن موقف كمال أبي ديب الذي أكد أنه" يحق للإبداعية العربية أن تنسب لنفسها في سياق التاريخ الأدبي الذي كانت تعيه، ابتكار فن أدبي جديد هو فن العجائبي والخوارقي[...] ويجلو ذلك عبثية الادعاءات الصريحة أو المتضمنة التي يقوم عليها عمل الباحثين مثل تزيفيتان تودوروف الذين ينسبون إلى الغرب حصرا ابتكار ما أسموه الآن "الفانتستيك" وعبثية من يتعقبهم من الباحثين العرب الذين يفتنهم كل غربي"[27].

إذا كان تشكل السرد الخرافي قد ارتبط، إنتاجا وتلقيا، بأوساط العامة[28] الذين وجدوا فيه ضربا من الأسمار اللطيفة، فإن ولوجه إلى الثقافة العربية كان من بوابة دينية وشرعية، حيث ورد "حديث خرافة"، في مصادر عديدة، مرفوعا إلى الرسول (ص) منها كتاب "المعارف" لابن قتيبة: "قال النبي لعائشة: إن أصدق الأحاديث حديث خرافة". وكان رجلا

---

[24]-ت. أ. بشر، أدب الفنتازيا، ص: 11
[25] - الميداني، مجمع الأمثال،ج 3، ص: 201
[26] - نفسه، ج 1 ص: 174
[27] - كمال أبو ديب، الأدب العجائبي والعالم الغرائبي، ص:9
[28] - أكد البيروني أن "قلوب العامة للخرافات أميل"– تحقيق ما للهند من مقولة، ص: 220

من بني عذرة سبته الجن فكان يكون معهم، فإذا استرقوا السمع أخبروه فيخبر أهل الأرض فيجدونه كما قال"[29]. لقد أضفى "حديث خرافة"، الذي رواه الرسول (ص)، شرعية دينية على هذا النمط من السرد، حيث أصبح من الأخبار الشائعة في محيط الثقافة العربية. ويمكن إجمال الباعث الذي حفز الرسول (ص) على رواية هذه الحكاية العجيبة في كونها تتفق مع الرؤية الدينية التي جاء بها الإسلام؛ فقد روي أن فريقا من الجن أسلم على يد النبي (ص)، عندما كان عائدا من الطائف إلى مكة، بعدما يئس من ثقيف[30]. وقد وثقت هذا الحدث سورة كاملة من سور القرآن هي "سورة الجن". ولا جرم أن الرسول (ص) حدد، من خلال هذا الإجراء، منهج الإسلام في ضبط الفاعلية السردية، وتوجيهها وجهة محددة، تتوخى تحقيق أغراض دينية وشرعية، تمثلت في دعم مقررات الدين وأصول العقيدة. فقد تحددت وظيفة النمط العجيب، في القرآن، بأنه "دعامة للأنطولوجيا القرآنية"[31]. ولذلك شاعت في الثقافة العربية أخبار الجن، التي تسخر لخدمة وظيفة دينية تتمثل في الإقناع بصحة الدين الإسلامي، والدعوة إلى اعتناقه عن طريق تصوير الاتصال بين الإنس والجن بغية تأكيد وجود هذه المخلوقات، كما نص على ذلك القرآن العظيم، حيث مثل "اعتقاد العربي بإمكانية الاتصال بين البشر والجن الأساس الثقافي لظاهرة الوحي الديني. ولو تصورنا خلو الثقافة العربية قبل الإسلام من هذه التصورات، لكان استيعاب ظاهرة الوحي أمرا مستحيلا من الوجهة الثقافية. فكيف يمكن للعربي أن يتقبل فكرة نزول ملك من السماء على بشر مثله، ما لم يكن لهذا التصور جذور في تكوينه العقلي والفكري"[32].

ولذلك زخر تراثنا النثري بالأخبار التي تصور الجن وقد اعتنقوا الإسلام، وحفظوا القرآن، ونفذوا إلى أسراره ودقائقه كما يؤكد ذلك هذا الخبر: "بلغني عن شيخ من بني نمير أنه قال: أضللت أباعر لي بالشريف فخرجت في بغائها، فدأبت أياما، فأمسيت عشية بواد موحش. وقد كددت راحلتي، فاختليت لها من الشجر، وأصبت لها من الماء، ثم قيدتها واضطجعت مغموما. فلما جرى وسن النوم في عيني، إذ همس قدم قريبا مني، فانتبهت فزعا. وإذا شيخ

---

[29] - ابن قتيبة، المعارف، ص: 610
[30] -ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2 ص: 49
[31] -محمد أركون، الفكر الإسلامي، ص: 205
[32] - نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص، ص: 34

يتنحنح، وهو يقول لا ريعة عليك. ثم سلم وجلس. ثم جاء آخر حتى تألفوا أربعة. فقالوا: ما بك أيها المسلم؟ فقلت: أضللت أباعر لي وأنا في طلبها منذ أيام. فقال لي الأول منهم: كن لك ما كن، وقد ودعن فبن، وصرن حيث صرن. فلا تتعنين. فاجترأت على المسألة فقلت: أمن الخافية [الجن] أنتم نشدتكم بإلهكم؟ قالوا: نعم وإلهنا وإلهكم واحد. فقلت: علموني مما علمكم الله شيئا أنتفع به. قالوا: إذا أردت حفظ مالك فاقرأ عليه "إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش" إلى آخر ثلاث الآيات وآية الكرسي. وإذا أمسيت في خلاء وحدك فاقرأ المعوذتين، وإن أحببت ألا يعبث بأهلك وولدك عابث منا، فعليك بالديك الأبيض، واجعل في حجور صبيانك بريما، يعني خيطا من صوف أبيض و أسود، واحتشوا بالإذخر ينشر في الصوف"[33].

لقد أعادت الثقافة الإسلامية صياغة جزء كبير من مأثورات ما قبل الإسلام وفق رؤية دينية، عملت على توجيه أشكال الخطاب المختلفة، التي كان يجري تداولها في المجتمع العربي قبل الإسلام، إلى خدمة مقاصد الدعوة الجديدة. فقد كان القرآن يستمد عناصره القصصية من بيئة الثقافة العربية. إذ كانت "مصادر القصص القرآني في الغالب هي العقلية العربية، فالقرآن لم يبعد عنها إلا في القليل النادر. ومن هنا جاءت فكرة الأقدمين القائلين بأن القرآن أساطير الأولين"[34]. وقد تعرضت الأنماط السردية الشائعة في محيط الجزيرة العربية، قبل الإسلام، إلى عملية تغيير واسعة، حيث فصلت الأصول القصصية، في الصياغة القرآنية، عن الوعي الثقافي المرتبط بالتراث الجاهلي من أجل ملاءمتها مع التصورات الجديدة التي جاء بها الإسلام. فقد مثل القصص القرآني، في السياق الثقافي الجديد، فعالية تواصلية الغرض منها تبليغ الدعوة والتمكين لها في نفوس المخاطبين بالوحي بما يؤدي إلى تجسيد التصور الإسلامي في الواقع الاجتماعي. وهو تصور مختلف تماما عن المغزى الذي كان يتوخاه السرد الجاهلي المرتبط بحالة ثقافية من مقوماتها القصص الأسطوري الذي رفضه الإسلام لارتباطه بـ "الجهل" الذي يحيل في دلالته القديمة إلى

---

[33] ـ ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج 2، ص: 94. تنسب إلى الجن طائفة من النصوص الشعرية يمكن الرجوع إليها في كتاب جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي، ص: 47

[34] ـمحمد خلف الله، الفن القصص في القرآن، ص: 257

الفتوة البطولية في أبعادها المختلة، حيث كانت "أيام العرب" وجها من وجوه التجلي النموذجي للجهل؛ ففي تلك الأيام تجد الحرب تعبيرها الخرافي والأسطوري[35].

[35]-سعيد الغانمي، مقدمة ترجمة كتاب ياروسلاف ستيكيفيتش، العرب والغصن الذهبي، ص: 16